*آفاق الحضارة الإسلامية*، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
السنة ٢٢، العدد ٢، خريف وشتاء ١٤٤٠ هـ.ق، ٢٧٥-٢٩٨

# استقصاء الممتنع وفلسفة الامتناع في خطب *نهج البلاغة*

**علي نجفي ايوكي***

**مرضيه سادات كدخدايي****

## الملخص

استفاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في *نهج البلاغة* من الفنون البيانية المتعددة لتجسيد المفاهيم المعنية حسب مقتضى الظاهر وعقلية المتلقي؛ فالامتناع من أهمّ التقنيات التي وظّفها الامام (ع) في نصه الديني؛ الفن الذي يستفاد منه حينما جزم المتكلم على أمر وقطعَ بانتفاء الشيء، فالأداة التي يستعين بها المتكلم لإيصال المقصود تتراوح على العموم بين (إن، لو ولولا جازمتين وغير جازمتين). وتقصّي خطب *نهج البلاغة* من هذا المنظور يدعونا إلى الاعتقاد بأنّ الامتناع ببعده الحجاجي الرّصين جاء لتجسيد مختلف الموضوعات متراوحاً بين امتناع الله وامتناع الإمام وامتناع الملائكة. على ضوء حضور مكثّف لأشكال الامتناع في بنية نص *نهج البلاغة* ودور هذا الأسلوب البياني في الرسالة الّتي يريد صاحب النص إيصالها إلى القارئ وأهميته في فهم *نهج البلاغة*، تتعاطى هذه المقالة بمنهجها الوصفي – التحليلي موضوع الامتناع في خطب هذا الكتاب القيّم. من المستنبط أنّ إشارة الإمام علي (ع) إلى عدد لابأس به من الامتناع انتهى إلى تنوير ذهن المتلقي تجاه الموضوعات العديدة دينية كانت أو غير دينية، ثم إنّ ما

* أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية بجامعة كاشان (الكاتب المسؤول)، najafi.ivaki@yahoo.com

** طالبة دكتوراه في قسم اللغة العربية بجامعة كاشان، marziehkadkhodaie@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٨/٠٨/١٥، تاريخ القبول: ١٣٩٨/١٠/٠٧

Copyright © 2018, IHCS (Institute for Humanities and Cultural Studies). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International, which permits others to download this work, share it with others and Adapt the material for any purpose

يمكن أن نستشفّه من دراسة الموضوع هو أنّ الخطبة القاصعة هي أكثر خطبة توظيفاً للامتناع، هذا وإنّ الامتناع الصادر من الله تعالى مرتبط في الكثير بالأنبياء والبيت الحرام.

**الكلمات الرئيسة:** *نهج البلاغة*، الامتناع، الحجاج، الحكمة، الانتفاء.

## ١. المقدمة

الحق أنّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعلمه الواسع وباعتباره ملازماً لنبي الإسلام صلوات الله عليه وتلميذاً ممتازاً لمدرسة الإسلام ذو معرفة خاصة بخفايا الأمور الّذي قال لمتلقّيه «فاسألوني قبلَ أن تفقدوني» وأخبرهم «وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَلَا خَالِفَ عَلَيْهَا» (الخطبة ١١٦) كيف لا فإنّه اندمج على مكنون علم وسيع، وإذا كان نبى الإسلام (ص) مدينة العلم فهو بابها؛ الّذي كان أوّل من آمن بالله وأوّل من صدّق النبي وما شكك في الحق مُذ رآه.

هذا وإنه تحدّث بأسلوبه الحجاجي في كتابه *نهج البلاغة* عن كثير من الأمور التي امتنع الله تعالى عن انجازه وقام بشرح فلسفة الامتناع وأجاب عن الأسئلة التي طرحها الناس في عهده حيث يمكن أن تتبادر هذه الأسئلة إلى ذهننا حتى يومنا هذا؛ على سبيل المثال لماذا امتنع الله أن يخلق آدم أو جميع الأنبياء من النور حتى يميل كل النّاس إليهم وينقادوا لأوامرهم؟ لماذا ما رأى الله من الصواب أن يستقر الكعبة في أرض خضراء مملوءة بورود ورياحين ولماذا ما زيّنها بزمرد وياقوت و...؟ فعلي (ع) رأى من وظيفته أن يجيب عن هذه الأسئلة بصفته زعيماً هادياً مرشداً إلى الدين الصّحيح والطريق القويمة.

والمسألة لاتنتهي إلى هنا؛ فدراسة حياة الإمام (ع) ومراجعة الوثائق التاريخية والدينية خاصة كتابه *نهج البلاغة* تدعونا إلى الاعتقاد بأنّه قد يمتنع أيضاً أن يقوم بعمل ما ويستنكف عن إنجازه؛ فليس هذا فحسبُ، بل يذكر أسباب امتناعه ويقوم بشرحه تنويراً لعقلية المتلقّي وتبييناً لفلسفة الامتناع عن الموضوعات التي كانت محل البحث والنقاش، على سبيل المثال

ماذا دفع الإمام إلى الامتناع عن المؤامرة على مقتل عثمان؟ لمَ لم يرضَ أن يكون من أدهى الناس في السياسة؟ لماذا أبى أن يقدّم إلى النّاس جميع العلوم التي كان يمتلكها؟ و...

فاستقصاء الممتنع والعمل الذي امتنع عنه والسبب الذي دفعه أن يكفّ عن عملٍ ما، هو موضوع البحث الذي بين أيدينا اعتقاداً بأن هذا الموضوع على أعظم جانب من الخطورة ومن أهم مرتكزات *نهج البلاغة*، ورصده يعين على فهم مقاصد المتكلم الذي صاحب الأسلوب الكلامي القويم ويلقي الكلام مع تدبّر وتريّث وبلاغة خاصة.

### ١.١ أسئلة البحث

تسعى هذه المقالة إلى إلقاء الضوء على أشكال الامتناع في *نهج البلاغة* وتحاول الإجابة عن الأسئلة التالية: من هو الممتنع في *نهج البلاغة*؟ ما هو أهم الممتنَع في النصّ المدروس؟ ما هو السبب الرئيس لامتناع الممتنِع؟ من المفروض أنّ الله تعالى امتنع بحكمته عن كثير من الأمور وقد رأى الخير في الامتناع وعدم الإعطاء.

### ٢.١ خلفية البحث

المقالة الوحيدة التي أشارت إلى موضوع الامتناع في *نهج البلاغة* هى «دراسة سندية ودلالية لامتناع الإمام على (ع) عن الخلافة بالتركيز على خطبة **٩٢** من *نهج البلاغة*» (**١٣٨٩**) من مهدى مردانى حيث عالج الباحث هذه الخطبة سنداً ومضموناً للوصول إلى الأسباب التي دفعت الإمام على (ع) إلى الامتناع عن قبول الخلافة دون أن يشير إلى أسلوب الكلام أو غيره من الامتناع الموظّف في هذا الكتاب. بغض النظر عن هذه المقالة، هناك بحوث عن الجملات الشرطية المرتبطة بمفهوم الامتناع كـ «دراسة البناء النحوي – البلاغي لكلمة لو في *القرآن الكريم*» لمرتضى قائمى وسيد محمود قتالى (**١٣٩٢**) حيث استنتج الباحثان أنّ لو الشرطية أكثر توظيفاً في *القرآن الكريم* ويتراوح معناها بين التنبيه، والتوبيخ، والحسرة، والتحضيض، والتمنّي، «طبقات الجملات الشرطية في اللغة العربية وتوظيفها في *القرآن*

*الكريم*» من أميرحسين رسول نيا ومريم آقاجانى، (١٣٩٢) حيث قام الباحثان بتقسيم الجملات الشرطية على أساس الشواهد القرآنيّة وعالجا بعض الأداة الشرطية من هذا المنظور دون أن يشيرا إلى لو الشرطيّة الامتناعية. رسالة الماجستير المعنونة بـ «أسلوب الشرط في *نهج البلاغة* (دراسة نحوية تطبيقية)» ليسرى خلف سمير ديوان السّعيدي، (١٤٣٠) فالباحثة أشارت في هذه الرسالة إلى تحديد مفهوم الشرط عند النحويين وتعدّد معانيها واختلاف وظيفتها وأنماط هذا الأسلوب وحاولت أن تأتي بنماذج من نهج البلاغه لكل أنواع الشرط وأشكاله دون الإشارة إلى أسباب الامتناع. «لولا في *القرآن المجيد* واللغة، حقيقتها وأنواعها ودورها الوظيفي» لمحمد إبراهيم خليفة الشوشتري وناهيده قادر (١٤٣٣) حيث عالج الباحثان الأشكال العديدة من توظيف كلمة «لولا» في *القرآن الكريم* وكيف أنّ هذه الكلمة ساعدت على خلق المعاني الجديدة في النصّ القرآني. لذلك من خلال البحث والتمحيص لم نقع على بحث تطرق إلى دراسة هذا الموضوع في *نهج البلاغة*، في حين أنّ لهذا الموضوع أهميّة كبرى ويساعدنا على فهم أفضل للنصوص دينية كانت أو غير دينية.

## ٢. البحث النظري

ذكرت معاني مختلفة للامتناع في كتب اللغة منها: منع: أن تحول بين الرجل وبين الشيء الذي يريده (إبن منظور، ١٤٠٨: ٥/٥٣٤) وهو خلاف الإعطاء (فارس بن زكريا، ١٤١١: ٥/٢٧٨) منعتُه أمنعته منعاً فامتنع: حُلتُ بينه وبين إرادته. (الفراهيدي، ١٤١٤: ٣/٢٧٩) وامتنع به: تقوّى واحتمى به. (أنيس وآخرون، ١٤٠٨: ٨٨٨) والامتناع مصدر امتنع بمعنى الكف عن الأمر (طريحي، ١٣٧٥: ٣٩٣ ومسعود، ١٩٨٦: ١/٢٣٢) وعند أهل المناظرة هو ضرورة اقتضاء الذات عدم الوجود الخارجي (البستاني، ١٩٩٣: ٨٦٥).

والامتناع في الاصطلاح هو تعذر الحصول ومن معاني «لو» و«لولا» (يعقوب، ١٩٨٦: ١٥٢) لأنه قيل: لو لامتناع الشيء لامتناع غيره ويتضمن معنى الشرط نحو ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ (اسراء/١٠٠) ولولا يجيء على وجهين أحدهما بمعنى امتناع الشيء لوقوع غيره ويلزم خبره الحذف ويستغني بجوابه عن الخبر (الأصفهاني، ١٣٦٢: ٤٥٨) نحو ﴿لَوْ لا أَنْتُمْ لَكُنَّا

مُؤْمِنِين﴾ (سبأ/٣١) أي لا يمكن العمل الذي يلي هذه الأدوات أن يصل إلى نتيجة، لأنّ اللازم باطل، فالملزوم باطل كذلك. بعبارة أخرى يمتنع حصول الجزاء، لأنّ ثبوت الشرط باطل.

هذا وإنّ أهل البلاغة أشاروا إلى هذه المسألة في علم البديع؛ فـ«هو مذهب سمّاه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي». (ابن المعتز،١٩٧٩: ٥٧-٥٣) و«هو اصطناع مذهب المتكلّمين العقلي في الجدل والاستدلال وإيراد الحجج والتماس العلل وذلك بأن يأتي البليغ على صحة دعواه بحجة قاطعة أيّاً كان نوعها» (عتيق، د.ت: ١٧٢-١٧١) وعلى حد تعبير القزويني: «هو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام» (٣٧٤: ١٤١١).

ومن المصادر التي استفادت من هذا الأسلوب البياني هي *القرآن الكريم*، حيث نرى أنّ الله تعالى حين أراد نقل مفهوم الوحدانية قال: ﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا﴾ (أنبياء/٢٢) اللازم (وهو فساد السموات والأرض) باطل؛ لأن المراد به خروجهما عن النظام الذي هما عليه، فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة باطل. يقول الطباطبائي في تفسير هذه الآية: «وتقرير حجة الآية أنّه لو فرض للعالم آلهة فوق الواحد لكانوا مختلفين ذاتاً متباينين حقيقة وتباين حقائقهم يقضي بتباين تدبيرهم في تفاسد التدبيرات وتفسد السماء والأرض، لكن النظام الجاري نظام واحد متلائم الأجزاء في غاياتها فليس للعالم آلهة فوق الواحد وهو المطلوب». (١٤١٧: ٢٦٧/١٤) وختام الآية ﴿فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُون﴾ يشير إلى تنزيه الله عما يصفونه به من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد فالجملة الأخيرة تأكيد لما قبلها.

وفي سورة البقرة يشار إلى أن اليهود لم يتبعوا الله بل اتبعوا الشياطين وكفروا بالله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كانُوا يَعْلَمُون﴾ (بقره/١٠٣) تقع في هذه الآية أداة الامتناع «لو» محل أداة النفى، يعني إنّ اليهود لم يتقوا ولم يرعوا محارم الله، فكانوا كافرين وليس لهم نصيب من الرحمن وثواب من عند الله، أي امتنع حصول الثواب لعدم إيمانهم، فالإيمان هو الممتنع عنه.

ومن أمثلته الأخرى في *القرآن الكريم* هي الآية السابعة من سورة الحجرات ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ فلزم انتفاء الجزاء أى الوقوع في العَنَت والشدّة؛ لأنّ رسول الله لم يطعهم في كثير من الأمر، أي انتفاء الوقوع في الشدّة مستنتج من امتناع الإطاعة. هذا وإنّ

حرف «لو» الدال على انتفاء الجزاء دخل في هذا النموذج القرآني على المضارع «لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتاً فوقتاً» (القزويني، ١٤١١: ١٠١).

هذا وإنّ «لولا» إذا دخلت على الفعل المضارع من أداة التحضيض والتوبيخ، ومن معانيها امتناع الشيء لوجود غيره. (زمخشري، ١٩٩٣: ٤٠٩) يعني وجود الشيء الثاني باطل لعدم وجود الشيء الأول، على سبيل المثال ولا الحصر قال عمر عن علي (ع): لَوْلَاكَ لَافْتَضَحْنَا (حكمت ٢٧٠) ففي هذه العبارة نوع من الامتناع؛ يعني لم نفتضح لأن علي (ع) حاضر مساعد واستفدنا من علمه.

وجدير بالذكر قد يستعمل «لو» في معني التمني قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ﴾ (بقره/٩٦) يشهد على أنهم لن يتمنوا الموت، إنهم أحرص الناس على هذه الحياة الدنيا التي لا حاجب ولا مانع عن تمني الدار الآخرة إلا الحرص عليها والإخلاد إليها (طباطبايى، ١٤١٧: ١/٣٤٤) ويأتي لولا بمعنى(هلّا) التوبيخيّة ويتعقبه الفعل نحو: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقالُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزى﴾ (طه/١٣٤) أي هلا وأمثلتهما كثيرة في القرآن.

ومن النصوص التي استعملت هذه الأداة في عملية نقل المعاني والمفاهيم هي «*نهج البلاغة*» حيث يستفيد الإمام(ع) منها في بعض الخطب لتبيين موضوعات مختلفة وتثبيته في ذهن المتلقى. ولا غرو أن نجد في خطب *نهج البلاغة* غير هذه الأدوات التي ندرسها في هذا المقال، أفعال تدل على معنى الامتناع، كقوله عليه السلام: فقال الرجل: فَوَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ فَبَايَعْتُهُ (عليه السلام) (الخطبة ١٧٠) أو ما جاء في الخطبة ٣٦: قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُنَابِذِينَ حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ (الخطبة ٣٦) أبيتم بمعني امتنعتم.لكنّ ما يرتبط بهذه الدراسة هو البحث عن الأمور التي امتنع الممتنع بحُكم حكمة عن عمل خاص وكفّ عن إنجازه برواية *نهج البلاغة*.

هذا وإنّ طبيعة البحث تقتضي تقسيم الامتناع الموظف المشار إليه في هذا الكتاب حسب الممتنِع إلى امتناع الله، امتناع الإمام وامتناع الملائكة حيث أتينا بجميع النماذج المرتبطة المتوافرة في الخطب وقمنا بتقسيمها على أساس الموضوع كما يلي.

### ١.٢ امتناع الله

الحق أن الله عزّ وجلّ العالم بالأشياء قبل ابتدائها المحيط بحدودها وانتهائها العارف بقرائنها وأحنائها بحكم حكمة يمتنع عن بعض الشيء ويرى من الحكمة أحياناً ألّا يعطي، ألّا يجعل، ألّا يأمر، ألّا يستقر و...، هذا وإنّ الإمام علي عليه السلام قد قام بذكر بعض هذا الامتناع شارحاً أسبابه من جانب الله تعالى ونذكره تالياً.

#### ١.١.٢ الامتناع عن جعل الأنبياء من الأثرياء

امتنع الله تعالى عن إعطاء مفاتيح الكنوز والمعادن للأنبياء وأراد أن يكونوا من الفقراء ولا الأثرياء، ورأى أنه غير مجد ومناسب لهم ووجد مصلحتهم في ذلك الامتناع؛ فالسؤال المطروح هو لمَ فعل الله هكذا؟ لماذا ما سخّر الرب بقدرته اللامتناهية الطيور والوحوش لرسله؟ و... فجيب الإمام علي (ع) عن هذه الأسئلة ويشرح مشيئة الله مع الاستفادة من أسلوب الامتناع حيث قال: لَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرَضِينَ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ (الخطبة ١٩٢).

إنّ ما يمكن أن نستشفّه من المقطع السابق هو أنّ الله هو الممتنع؛ حيث ما رأى من الحكمة أن يفتح الكنوز والمعادن للأنبياء، فلم يفتح لهم؛ والحال أنّ وجود طيور السماء ووحوش الأرضين يدل على أن الله يستطيع أن يسخر الكائنات؛ بتعبير آخر إنه لايمتنع عجزاً بل يمتنع علماً بأنه لو كشف للرسل ما خفي من الكنوز والمعادن لم يعد للأنباء والجزاء والبلاء مفهوم. فصاحب النص ألقى مفهوم كلامه الحجاجي – الذّي يتكون من تقديم الحجج والأدلّة التى تؤدّى إلى النتيجة المحدّدة – للمخاطب بالاستفادة من الكلمة الامتناعية وهي «لو» التي تدل عند النحويين بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط. (عتيق، د.ت: ١١٣) والامتناع من أظهر المعاني المستعملة لهذه الكلمة ولا شك بأن لا يتحقق الفعل الذى يليه (قائمى، ١٣٩٢: ١٣١) ثم لايكمن الإغماض عن الإيقاع الصوتي الّذي حصل عن طريق التجانس بين كلمات «كُنُوزَ الذِّهْبَانِ، مَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، مَغَارِسَ الْجِنَانِ/

فَعَلَ، سَقَطَ، بَطَلَ/ الْبَلَاءُ، الْجَزَاءُ، الْأَنْبَاءُ» حيث يدلّ هذا التناغم الصوتي على النظم والترتيب والتنسيق الهي في الكون؛ فالامتناع المعنيّ مأخوذ في هذا النظام وجزء منه. تاسيساً على هذا التفسير كان ولايزال للأنباء والجزاء والبلاء مفهوم عديد.

### ٢.١.٢ الامتناع عن استقرار البيت الحرام في الأرض الخضراء

امتناع آخر من جانب الله تعالى الذي تطرّق إليه الامام هو أنّ الله جعل بيته الحرام في البقاع التي تقع بين الجبال الخشنة والأرض الوعرة؛ والحال بإمكانه أن يجعلها في الأراضي الخضراء والأماكن المبهجة، فما هو السبب لهذا الإباء والامتناع ولماذا لم يقبل الخالق بذلك؟ هذا وإنّ صاحب النصّ يفسر أسباب هذا الامتناع قائلاً: لَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ جَمَّ الْأَشْجَارِ دَانِيَ الثِّمَارِ مُلْتَفَّ الْبُنَى مُتَّصِلَ الْقُرَى بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ (الخطبة ١٩٢).

كما يبدو من النص السابق يحتجّ الإمام بأنّ الله لو أراد أن يضع بيته الحرام بين هذه المواضع الحسنة المبهجة المذكورة في النص لفعل، لكنه «أراد أن كبر جزاء المخلوق خاصة قلة البلاء تنتهي إلى صغر الجزاء والعناية الإلهية مضاعفة الثواب وبلوغ كل نفس غاية كمالها وذلك لا يتم إلّا بكمال الاستعداد بالشدائد والميثاق، لذلك لم يرد أن يجعل بيته الحرام في تلك المواضع لاستلزامها ضعف البلاء». (البحراني، د.ت: ٢٨٢/٤) وفي تفسير آخر لو جعل بيته في حدائق وأنهار لكان مقهى وملهى ومسرحا وبلاجا للشياطين لا مهبطا للملائكة المقربين ومسجدا للعاكفين. (مغنيه، ١٩٧٣: ١٣١/٣) على ضوء هذا التفسير امتنع الله أن يضع بيته بين هذه الأمكنة الحسنة لأنه يلزم حينئذ أن يكون سبحانه قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء؛ خاصة إن البلوى والاختبار لما كانت أعظم، كانت المثوبة والجزاء أجزل والله تعالى يريد أتم وأكمل الجزاء لعباده.

إنّ مثل هذا النص الّذي بين أيدينا من *نهج البلاغة* يشهد أنّ المتكلم زاد اللفظ على المعنى وأخذ يذكر كل الميزات الحسنة للمكان الذي يمكن أن يقع *بيت الله الحرام* فيه؛ علماً بأن «في الإطناب تثبيتاً للمعنى وتقريراً في الذهن» على حدّ تعبير علماء البلاغة

(السكاكي، د.ت: ١٣٦) ثمّ إنه استفاد من فن التقسيم –وهو استيفاء المتكلم أقسام الشي، بحيث لا يغادر شيئا، يحتوي على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه (الزركشي، ١٩٥٧: ٤٧١/٣، العسكري، ١٤٢٧: ٣٠٨) – ومكانه من الفن القولي لا يخفى «فله موقع في الفصاحة لا يمكن جحده ولا يسع إنكاره» (العلوي، ١٩١٤: ١٤٤/٣) إذاً الإطناب والتقسيم وتفصيل المسندإليه الموظّف بعطف النسق في النص يمهد الأذهان لبيان النتيجة؛ أي يريد أن يقول كلما زيدت وكملت محاسن المكان صغر جزاء؛ بينما لن يريد الله الثواب الصغير لأعمال العباد.

ولايفوتنا أن ننظر إلى أدبية النص خاصة السجع الموظّف بين كلمات حرام وعظام، سمراء وخضراء، ناضرة وعامرة، جزاء وبلاء حيث أدى إلى موسيقى الكلام وزاد على إيقاع النص. ثم تكرار حرف الراء «بما فيه من خاصية التحرّك» (عباس، ١٩٩٨: ٢٨) زاد على تجسيد حركة الأشجار والأنهار وقدّم الحيوية لهذا المكان ونغمة النص؛ لمَ لا والكلام المنغم يعين السامع على حفظه وينبّه الأجهزة السمعية ويجعلها أقدر على التلقى (دراوشة،٢٠١٠: ٥٤٧) على أية حال فالاستفادة من هذا الأسلوب الحجاجي مع الإيراد بالعلّة المناسبة تستقطب المتلقّي حتى يستسلم للموضوع ويقنع بهذا الطريق.

### ٣.١.٢ الامتناع عن أن يكون الاله الثاني

حينما أراد الإمام أن يحتجّ بأزلية الله ويظهر قدرته للذين يعتقدون أن الله هو الإله الثانى ويبين أن وجوده قبل وجود كل شيء يقول: لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِناً وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلَهاً ثَانِياً. (الخطبة ١٨٦) والتوضيح أنه لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِناً أي أنه محدث مسبوق الوجود بالعدم وسبب عدم وجود الأشياء قبله هذا الكلام: وَلَوْكَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلَهاً ثَانِياً؛ فهو أشار إلى برهان حدوثه وهو قياس استثنائي وتقريره: «لو كان كلامه تعالى قديما لكان كلامه إلها ثانيا؛ لكن التالى باطل فالمقدم كذلك». (البحراني، د.ت: ١٥٤/٤) بتعبير آخر يستنبط مما ذكر أنّ وجود إله آخر غير الله تعالى محال؛ لأنه لا يوجد شيء قبله والإله الثاني هو الممتنع.

ومن منظور بلاغي يمكن القول: نقل الإمام عدم وجود الشيء قبل الله إلى المتلقي في جملة ابتدائية؛ اعتقاداً بأن هذا الأمر واضح ولا شك فيه فلايحتاج إلى أداة التأكيد، مع هذا

يليها حرف «لو» للحجاج وتحكيم الكلام ورد عقائد المنكرين، ويقول إن كان قبله كائن فعليه أن يكون إله آخر يساعده في خلق الأشياء وهذا مستحيل. وهكذا يصبح من المقبول، بل ربّما من المسلّم به أن الإمام استلهم في نصه مضمون هذه الآية القرآنية: ﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا﴾ (انبياء/٢٢) يعني لَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلَهاً ثَانِياً ولَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا واللازم وهو الفساد باطل، لأنّ الملزوم وهو تعدد الآلهة باطل وليس أدل على ذلك من الحقيقة والواقع (هاشمي، ١٣٧٩: ٣١٧) على أية حال أكدّ المتكلم على أنه لا يوجد إله آخر غير الله وهو صمد بلا نظير؛ والقى حديثه مع إيجاز القصر؛ المكوّن من لفظ يسير دالٍ على معني كثير حيث لايمكن إنكار أثره في المتلقي.

### ٤.١.٢ الامتناع عن خلقة آدم من النور

ثمّ سؤال يطرح نفسه هنا وهو لماذا لم يخلق الله آدم أو غيره من الأنبياء ورسله من النور حتى تكون خلقتهم مختلفة عن البشر ويدفع هذا الخلاف الناس خاضعين لأوامر النبي؟ فالنظرة اليسيرة إلى خطبة القاصعة خليقة أن تقنعنا؛ حيث يجيب الامام (ع) عن هذا السؤال على الشكل التالي: وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ وَطِيبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً وَلَخَفَّتِ الْبَلْوَى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ولَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمْيِيزاً بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ وَنَفْياً لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلَاءِ مِنْهُمْ (خطبة ١٩٢).

انطلاقاً من نصّ الخطبة نرى أنّ الإمام يحتجّ بأن الله تعالى يستطيع بقدرته اللامتناهية أن يفعل كل شيء اراده؛ لكنه يمتنع بحكمته البالغة أحياناً كما امتنع من أن يخلق آدم من النور اعتقاداً بأنّ الله «لو خلق آدم من نور باهر ومنظر حسن وخلّابٍ يبهر العقول وروائح ذكية، لخفّ التكليف على المكلّفين بالسجود لما يرون من عظمته وبهائه، ولكنّ الله تعالى يختبر عباده تمييزاً من المطيع من العاصي». (دخيل، ٢٠٠٣: ٣٥٥-٣٥٤) المقصود ليُطع رسول الله لأنه مأمور من جانب الله تعالى ويبلغ ما أمر به الخالق الذي لم يُخلِ سبحانه خلقه من نبي مرسل، فلا قيمة للطاعة التي تنشأ من اختلاف الخلقة أو ما يشبه ذلك من الظاهر؛ فالرسول آدم كان أو غيره أمره مطاع لأنه يأمر بما أمر الله به وينهى عما نهى الله عنه. على

ضوء هذا التفسير استدلّ صاحب النصّ كلامه بالحجة والبرهان وقام بتهذيب الأفكار مع الأدلة المتقنة والمنطقية. ولا يفوتنا أن نقول إنّ الممتنع هو الله والامتناع هو عدم خلقة آدم من النور والسبب هو ابتلاء الناس ببعض المجهولات وإبعاد الكبرياء منهم وتمييز العبد المطيع المخلص من العبد العاصي المكتفي بالظاهر. على أية حال أتى الإمام على صحّة امتناع الله بحجة بالغة وحاول لتقرير المفهوم المراد وتمكينه في ذهن السامع وإقناعه تجاه الموضوع.

### ٥.١.٢ الامتناع عن جواز الكبر للأنبياء

اختص الإمام (ع) خطبة «القاصعة» بتحقير إبليس والمتكبرين حيث ذمّه على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام وأخذ يحذّر الناس من الكبر طالباً الاعتبار بالأمم المستكبرين السابقين قائلاً: إن الكبر ذلّ هذه الأمم وعلى الناس أن يستعيذوا بالله من هذه الرذيلة واجتنبوا عنه والله لا يحب هذه الرذيلة للناس ولا يجوز لأي أحد أن يتكبر مؤكداً على أنه تعالى ما أصدر جوازاً لأي أحد أن يتكبر ويتغطرس؛ «فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ» (الخطبة ١٩٢).

والأمر الذي يستوجب عناية خاصة هو أنّ الفقرة السابقة تؤكد على أن الله تعالى لم يرضَ بالكبر والتكابر لأيّ أحد من مخلوقاته ولو كان هذا المخلوق نبياً صاحب مكانة مرموقة عند الله تعالى، كيف لا فهو الذي يدعو إلى التواضع والخشوع في كتابه الكريم قائلاً:﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (الإسراء/٢٤) لذلك امتنع الله من إصدار أي رخصة للكبر لخاصة أنبيائه وأوليائه، وإذا منع الخواص من الكبر والغرور كيف يسمح لسائر مخلوقاته وشأنهم في الكثير الأكثر دون شأن الأنبياء! فسبب هذا الامتناع يعود إلى أن الله يحبّ لين الجانب والتواضع ويكره التغطرس والغرور من مخلوقاته نبياً كان أو غير نبيّ. على ضوء هذه القرأة حصل انتفاء الجواب (كبر خواص الأنبياء) لانتفاء الوحدة الأولى من الكلام (عدم الرخصة للكبر).

ومن منظور لغوي يمكن القول بأنّ تكرار حرف خاص في نصّ، يأتي لغرض خاص ويلفت نظر المتلقي للموضوع؛ على سبيل المثال نرى أنّ صاحب النصّ قام بتكرار حرف الراء؛ وصوت حرف الراء من أصوات الحروف هو أشبه ما يكون بالمفاصل من الجسد، وفي

الحقيقة إن حاجة اللغة العربية إلى حرف الراء لاتقل عن حاجة الجسد للمفاصل. وحسب قول أهل اللغة «لولا صوت الراء لفقدت لغتنا الكثير من مرونتها وحيوتها وقدرتها الحركية، ولفقدت بالتالي الكثير من رشاقتها، ومن مقومات ذوقها الأدبي الرفيع» (عباس، ١٩٩٨: ٨٨-٨٣)؛ إذاً وجود هذا الحرف في العبارة يدل على الثبات والاستقرار؛ يعني الله سبحانه وتعالى لن يريد الكبر لأي أحد من أوليائه وأنبيائه وامتنعت هذه الرذيلة عنهم. يقول حسن عباس إنّ شكل حرف الراء في السريانية يشبه الرأس (*نفس المصدر*) كما أن الأنبياء في المجتمع كرأس أو جبل يحتاج الآخرون إليهم للهداية وهذه المماثلة سبب لتكرار حرف الراء في الجملة. وتكرار نفس فعل الشرط في الجواب لتثبيت المعنا في الذهن ووجود الضمائر يدل على انسجام بين العبارات. هذا وإنّ كثرة تكرار حروف (خ، ص) تشير إلى اختصاص خير الصفات لخير العباد وهم أنبياء وكثرة الحروف المشددة تدل على أن الله جزم على امتناع الكبر عن الناس حتى الأنبياء الذين اصطفاهم على العالمين وهذا الأمر يظهر كراهية الكبر. من ناحية أخرى نرى أنّ الإمام قام بتوظيف عدّة الكنايات في العبارة كـ«إلصاق الخدود بالأرض، تعفير الوجوه في التراب، إخفاض الأجنحة للمؤمنين» فجميعها يدلّ على الخضوع حيث جعل صاحب النصّ هذا التكرار أداةً جماليةً تخدم علّة الامتناع.

### ٦.١.٢ الامتناع عن جعل الأنبياء أهل قوة لاتُرام وعزّة لاتُضام

على أساس شهادة *نهج البلاغة* إنّ الله امتنع أن يتفوّق الأنبياء على البشر في جميع الأمور وما أعطاهم قوة وقدرة لايروم إليها من أحد وعزّة ودرجة لاتتقبل أي ظلم ومذلّة أبد الدّهر، خاصة القدرة العظيمة والعزة المنيعة تسلس قياد الخلق وتجعلهم ينصاعون ويرضخون منقادين وخاضعين لأوامر الأنبياء. السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو ما هي الحكمة في هذا الامتناع؟ فالإمام (ع) أخذ يشرح فلسفة هذا الامتناع الربّاني في خطبة ١٩٢ المعروفة بالقاصعة قائلاً:

وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الِاعْتِبَارِ وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الِاسْتِكْبَارِ وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ

وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

يبدو من النصّ أنّ القدرة الكثيرة تجعل البشر أن يتركوا الكبر والاستكبار أمام صاحب القدرة وتجعلهم متجهين إليه طلباً للحصول على المال عنده أو خوفاً من بطشه وفراراً من غضبه، ولكنّ الله تعالى يحبّ الخشوع والاستسلام والخضوع ويرغب في الحب الذي يبذل الناس إليه وإلى الأنبياء ورسله بصدق كامل وبرضىً وسرور بريء مما يشينه ويدنّسه ولاقيمة عنده تعالى للحب الذي منبعث من كره أو خوف. والحقيقة التي لاتُنكر هي كلمّا كانت البلوى والمصيبة والامتحان أعظم، كانت المثوبة والجزاء أجزل.

على ضوء هذا التفسير بما أنّ المطلوب من المسلم أن يكون إيمانه من أجل الله وحده وبما أنّ الله راغب في خالص النيات مؤكداً على صدق الخضوع والخشوع، رأى أن يبعد الأنبياء من قوة لاترام وعزّة لاتضام، في حين امتنع أن يجعل الرسل متموّلين حتى لا يتجه الآخرون إليهم طمعاً للحصول على المال والثروة؛ فحكمة الله اقتضت ألايكون الأنبياء أصحاب القوة العظيمة، لأنّ الخضوع والخشوع وخلوص النيات كان مطلوباً، لذلك صارت قوة الأنبياء وعزتهم منتفية غير حاصلة.

ولغوياً يمكن القول بأنّ النموذج المدروس ذو إيقاعات موسيقية لافتة حصلت بواسطة توظيف السجع والجناس المتجلّي في قوّة، عزّة/ لاترام، لاتضام/ تُمدّ، تُشدّ/ الرحال، الرجال/ الاعتبار، الاستكبار/ رهبة، رغبة/ و... حيث انتهى هذا التوازن اللغوي والصوتي إلى اتساق الخطاب الديني وزاد على جماليته وأدبيته، فنرى في النص تداخلاً وتعاضداً بين الايقاع والدلالة، وهذا يجعل السامع أكثر تحفّزاً للنص والانتباه إليه.

### ٧.١.٢ الامتناع عن تقديم زيادة المعرفة إلى الملائكة

السؤال الذي يمكن التبادر إلى الذهن هو لماذا ما رأى الله من الصواب أن يجعل الملائكة عليما بكل الأمور وما زاد على معرفتهم بعظمة الله بينما هم أعلم خلق الله به وأخوفهم له وأقربهم منه وطاعتهم كثيرة له وغفلتهم قليلة عن أمره؟ فالإمام يجيب عن جميع هذه الأسئلة المطروحة قائلاً: لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ وَلَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَعَرَفُوا

أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِك (الخطبة ١٠٩) فالنص يشهد على أن الله لم يرض أن يقدم جميع المعرفة إلى الملائكة وينبههم بجميع الأمور الخفية خاصة ما زاد على معرفتهم بعظمته؛ «لأنهم استقلّوا عبادتهم واستخفوها ووجدوها لاتليق بمقام الله» (دخيل، ٢٠٠٣: ١٨٥) ولو رخّص الله به ما كانت عبادة الملائكة عظيمة وماكان يطاع حق طاعته؛ إذاً رأى من الحكة أن يبقى بعض الأشياء مجهولاً مخفياً عليهم.

### ٨.١.٢ الامتناع عن جعل أحجار البيت الحرام من زمرد و ياقوت

إنّ الامام علي (ع) عالج في خطبة ١٩٢ أسباب امتناع الله تعالى عن تزيين البيت الحرام بأحجار كريمة من زمردة خضراء وياقوتة حمراء ونور وضياء ولو زينها لامتنع تسرب الشكوك إلى النفوس ولابتعد الشيطان عن قلوب الناس ولكانت النفوس أدعى إلى تعظيم البيت على حد تعبير الإمام: «وَلَوْ كَانَ الْإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ وَنُورٍ وَضِيَاءٍ لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ»؛ فإذا كانت فيه الفوائد الكثيرة من ابتعاد الشك والريب والشيطان من قلوب الناس، فلمَ رفض الله أن يقوم به وأبى أن يجعل البيت المعظّم مزيناً بالأحجار الكريمة؟ فالإمام أخذ يشرح حكمة هذا الامتناع من جانب الله الحكيم قائلاً: «وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ وَأَسْبَاباً ذُلُلًا لِعَفْوِهِ».

من الملاحظ أنّ الإمام جعل اللون الأسود للأحجار المستعملة للبيت الحرام نوعاً من الشدّة؛ فالبيت غير المزيّن جاء كنقيض من الراحة والهدوء؛ ولعلّ جنوح المتكلّم إلى مثل هذا الانزياح يعطي النص حيويةً واستمراريةً. على ضوء هذا التفسير لايريد الله توقّف البشر عن الحركة والعمل ويبدو أنّ التشديد في المحنة سبب للحصول على علوّ المنزلة وسموّ المرتبة؛ والشدائد التي يعانيها البشر تنتهي إلى الأجر الكريم والخير الوافر؛ فالله يختبر عباده بمختلف المكاره، خاصة إنّ الشدائد تبعد الانسان عن الكبر والغرور وتمنعه أن يتغطرس ويتباهي. فالاستفادة من هذا الأسلوب البياني بفاعليته الدلالية والمنطقية الّذي عمل كحجّة، انتهت إلى إثبات النتيجة المعنية.

## ٢.٢ امتناع الإمام (ع)

المسألة الهامة التي يجب أن نأخذها بعين الاعتبار هي أنّ الإمام (ع) أبى طوال حياته أن يقوم ببعض الأعمال ورأى من الصواب عدم القيام به، فقد أشار في خطب *نهج البلاغة* إلى عدد من الامتناع حيث يجدر بنا أن نعالجه هنا ونكشف أسبابه.

### ١.٢.٢ الامتناع عن الجزع الشديد على وفاة النبي (ص)

الحق أنّ التاريخ يشهد على موضع الامام علي (ع) من رسول الله (ص) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة؛ فقد قرنه الله بالنبي من لدن أن كان فطيماً وكان يتبع النبي اتباع الفصيل أثرَ أمّه على حد تعبير نفسه (القاصعة: **٣٧٣**) وهو الذي أول من آمن به، وواساه بنفسه في المواطن التي تنكص فيها الأبطال وتتأخر فيها الأقدام (خطبة **١٩٥**) و... والسؤال المطروح هنا لماذا ما استغرق داء فقدان النبي زمناً طويلاً على الإمام (ع) وماحالفه الحزن والجزع في مصيبة فراقه ولمَ ما انفد على هذا الفراق ماء الشُّئُونِ؟ بعبارة أخرى ما هو سبب امتناع الإمام علي (ع) عن البكاء الشديد على فراق النبي (ص) طوال عمره؟ أليس مثل هذه القرابة والصداقة جديراً بالبكاء والجزع بعد الوفاة ؟

والباحث في خطبة ٢٣٣ يجد الإجابة الصريحة من صاحب *نهج البلاغة*؛حيث يكشف الإمام (ع) سبب امتناعه وامتناع الآخرين عن البكاء على النبي على مدار الساعة قائلاً: «وَلَوْ لَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ وَ نَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّئُونِ وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً وَ قَلَّا لَكَ وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلَكُ رَدُّهُ وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ». فالنص يشهد على انتفاء إنفاد مجاري العين الدمعية وانتفاء مماطلة الداء ومحالفة الحزن لأن النبي أمر بالتحلّي بالصبر ونهي عن الجزع والبكاء الحار على فقدانه ولو أنّ مواصلة الداء والحزن لقليلة أمام مصيبة وفاة النبي الأعظم؛ وما الحيلة دون ما لايملك ردّه ولا يُسْتَطاع دَفْعُه! على أية حالٍ توظيف كلمة «لولا» بما فيها امتناع لوجود (السيوطي، **١٩٩٨: ٤٧٥**) جعل النص امتناعياً. وهذا الحرف يدخل على الجملة الاسمية والفعلية لربط امتناع الثانية بوجود الأولى ويسمّى حرف امتناع لوجود (خليفة الشوشتري، **١٤٣٣: ٦٨**) مضافاً إلى ذلك أتى

المتكلّم بخبر كان نكرة (مماطلاً/ محالفاً) حتى يدلّ على زمن طويل مجهول؛ بتعبير آخر تنكير الخبر في هذا السياق يدلّ على زمن غير معلوم، فالصبر و الاجتناب من الجزع منع الإمام عن الحزن المديد.

### ٢.٢.٢ الامتناع عن الأمر بالقتل أو النهي عنه

ردّ الإمام (ع) مراراً وتكراراً اتهام قتله لعثمان والمشاركة فيه والنهي عنه مؤكداً على أنه غير مطّلع على هذا الأمر، وفي كتاب له إلى معاوية خاطبه:«يَا مُعَاوِيَةُ لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ» (الكتاب السادس)؛ فإنه امتنع عن صدور أمر لقتل عثمان، وليس هذا بل امتنع عن نهي الآخرين عن قتله اعتقاداً بأن «لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً. (الخطبة٣٠) هذا الكلام بظاهره يقتضي أنه (ع) ما أمر بقتل عثمان ولا نهي عنه، غير أنه لا يجوز أن يحمل الكلام على ظاهره لأن قد ثبت في السير أنه كان ينهى الناس عن قتله؛ إذاً «يجب أن يحمل لفظ النهي على المنع – ما يقال الأمير ينهى عن نهب أموال الرعية أي يمنع – لأنه ما أمر بقتله ولا منع عن قتله» (ابن ابي الحديد، ١٣٨٥: ١٢٦/٢) إنّ القتل يطلق في العرف على الأعم من السبب والمباشر فيستلزم الأمر به له عرفا (نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً) لاستلزام النهي عنه النصرة له وهو ظاهر وهاتان القضيتان منتجان لعدم مداخلته (ع) في قتل عثمان بالأمر والنهي (الهاشمي الخوئي، د.ت: ٢٩/٤).

بدأت الجمله بـ«لو» وهذا الحرف للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط، فيلزم عدم الثبوت وانتفاء الجزاء (التفتازاني، ١٤١١: ١٤٤-١٤٣) أي لم يأمر الإمام بقتله فلم يكن قاتلا ولم يكن ناصرا، لأنه لم ينه الناس عن قتله، فيمتنع أن يكون قاتلا أو ناصرا لعدم وجود الأمر والنهي بقتله. والحصيلة النهائية هي عدم اشتراكه في دم عثمان وكان أعدائه على علم بذلك. ولايفوتنا أن نشير إلى الاتساق الحاصل من التضادّ بين «أمرتُ/ نهيتُ» وتكرار ضمير «تُ» في كلمات «أمرتُ/ كنتُ/ نهيتُ» والموازنة الحاصلة من الكلمتين «قاتِلاً/ ناصِراً»؛ فالمصاحبة المعجمية زادت على التلائم بين المعنى واللفظ.

### ٣.٢.٢ الامتناع عن الإخبار بجميع الحقائق للناس

الحق أنّ الإمام علي عليه السلام قد بلغ من العلم إلى مبلغه، فهو الذي أخبر بعلومه الواسعة عن الحوادث المستقبلة والأخبار المتعددة؛ العالم الذي خاطب الناس قائلاً: أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ. (الخطبة ١٨٩) الذي نقرأ منه في الخطبة الخامسة من *نهج البلاغة*: «... بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ». هذه العبارات تشير إلى سعة معرفة الإمام (ع) بخفاياء الناس وتصرفاتهم. هذا فإنه قال في خطبة ١٧٥: «وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ». لكن الحقيقة التي لايمكن الإغماض عنها هي أنه امتنع عن الإخبار بجميع الحقائق لهم وأبى أن يبوح بكل الأسرار والخفاياء، فالسوأل المطروح هو لماذا امتنع الإمام عن تقديم جميع المعلومات إلى الناس وما دفعه أن يأبى التصريح بتصرفات الناس ماضية كانت أو آتية؟ والحال أنه قادر على هذا الأمر و بمقدوره لو شاء لأخبر كل رجل منهم بمواضع تصرفاته وحركاته وجميع أحواله، خاصة أنه أقسم على هذه الاستطاعة.

فالإمام يواصل حديثه ويشير إلى فلسفة امتناعه عن هذا العمل حيث يقول: «ولَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ». إنّ ما يمكن أن نستشفّه من الجملة المذكورة هو أنّه لايثق بالناس الذين ليست لديهم قابلية لتلقّي العلوم؛ كيف لا فهو أمام جماعة هزيلة إذا شبعت ماتت! إذاً لايعتمد عليهم ويحتمل أنهم يغلون فيه ويفضّلونه على رسول الله تعالى (البحراني، د.ت: ٣/٣٤٧-٣٤٨) فما هو إلا كفر بالرسول وخروج من الإسلام؛ على هذه العقلية تحاشى الإمام من الكفر الجديد ورغب عن التصريح بما يعلم والتزم بالسكوت ومنع نفسه من البوح بجميع الحقائق حذرا من أن يفروا فيه برسول الله وادعوا فيه أنه شريك الرسول في الرسالة؛ لذلك إنه لا يخبر به خوفا أن يقال فيه من الغلو ما يوجب الكفر بالله ورسوله (مغنيه، ١٩٧٢: ٢/٥٢٢).

أسلوبياً يمكن القول بأنّ الاستفادة من القسم «والله» والفعل الماضي في الشرط وجوابه «شئتُ/ فعلتُ» وتوظيف لام التأكيد يدلّ على قطعية مفهوم النصّ وتحققه حيث لايمكن

ردّه؛ لكنّ صاحبه امتنع عن القيام به؛ فعدم القيام بهذا الأمر المقطوع خير دليل على أنّ الإمام يتصرّف حسب علمه لا على حسب القدرة والاستطاعة المعطية من جانب الله العليم. ثمّ لايمكن الإغماض عن الإحصاء المفصّل في الفقرة النثرية «بِمَخْرَجِهِ/ وَمَوْلِجِهِ/ وَجَمِيعِ شَأْنِه» حيث يشهد هذا التفصيل على سعة اطلاع صاحب النصّ من جزئيّات الأمور وإشرافه على جميع الخفايا.

### ٤.٢.٢ الامتناع عن أن يكون من أدهى الناس

كره الإمام أن يتصرف كمعاوية وأن يكون مثله خائناً ناقض العهد تارك الوفاء غير راعٍ أيّ ميثاق وغير حافظ أيّ حرمة اعتقاداً بأنّ معاوية ليس أشدّ دهاءً وأوسع حيلةً منه، لكنه صاحب الخدعة والمكر ينقض العهد ولايفي به، حيث انتهى هذا الغدر به إلى الفجور والكفر: «وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي وَ لَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَ يَفْجُرُ وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (الخطبة ٢٠٠) كما يستنبط من الفقرة السابقة فيما يتحدثنا الإمام عن غدر معاوية وفجوره، فإنه يخبرنا عن استنكافه من أن يكون من أدهى الناس؛ إذ أنه لايرى الدهاء المنبثق من الغدر حذقاً ومهارة في تدبّر الأمور بل جعله معادلاً للفجور والكفر؛ فإذا كانت الحال كذا لايليق به أن يكون من أدهى الناس ولو كان الأمر باستطاعته. ولايفوتنا أن نقول إن في عبارة « في كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ» استفاد المتكلّم من تقنية «تشابه الأطراف» أو «التسبيغ» وزاد بتوظيفها على أدبيّة النص الامتناعي.

### ٥.٢.٢ الامتناع عن القبول العاجل للخلافة

بعد قتل عثمان، طلب الناس من علي بن أبي طالب (ع) لقبول الحكومة وألحّوا على طلبهم وأرادوا البيعة، لكنه امتنع عن القبول العاجل والفوري قائلاً: «دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي» (الخطبة ٩٢) ورفض بداية الأمر أن يتولى أمور الناس قائلاً: «فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ

وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً (*نفس المصدر*).

كما يستنبط من النص أنّ الإمام لايثق بالناس الحاضرين ولايعتمد عليهم لأنه على علم كامل بأنّ الذين أرادوا بيعته هم الذين بايعوا من كان قبله، واعتادوا على سيرتهم؛ فأرادوا منه أن يسير فيهم بتلك السيرة فأبى وقال: دعوني واتركوني أن أتقلّد ماتريدون، واطلبوا غيري ليسير فيكم بسيرتهم. على ضوء هذا التفسير إنّ كلامه كلام عاتب وشاك من أصحابه، وحينما قال دعوني والتمسوا غيري ليس إلا على طريق الضجر منهم والتبرم والتسخّط لأفعالهم؛ لأنهم كانوا عدلوا عنه من قبل واختاروا عليه، فلما طلبوه بعدُ أجابهم جواب المسخط العاتب. (الميلاني، ٢٠١٢: ١٧٣) فهو يعرفهم حق المعرفة ويخاطبهم: «هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سَرَارَ الْعَدْلِ أَوْ أُقِيمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ» (الخطبة ١٣١) هذا وإنّ القبول العاجل والفورى لأمر يشهد على اشتياق صاحبه والرغبة الملحّة من جانبه؛ فكره الإمام أن يكون مشتاقاً محباً للخلافة في رأى الناس وحذر أن يكون متّهماً في عيونهم. وفي تفسير آخر إنّ الإمام (ع) امتنع عن القبول الفورى للخلافة لأنّ البدعة قد زادت وصعب إصلاح المجتمع فرأى رفض الخلافة من الصواب. (مرداني، ١٣٩٠: ١٦٣)

وأخيراً بعد أن أصرّ الناس على طلبهم ما رأى حيلة إلا أن يقبل مشيراً اليه في خطبة له المعروفة بالشقشقية:«لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ». (الخطبة ٣) والحق أنّ نظرته المعنوية من المكونات الرئيسة لكلامه القيم؛ فهو الذي قال في قسم من خطبة ١٣١: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ.

على أية حال الإمام هو الممتنع والخلافة هي الممتنعة عنها والغرض من الامتناع هو عدم الثقة بالناس، ولو أنّ الإمام رضى بها أخيراً ووافق عليها لأسباب ذكرناها آنفاً.

### ٦.٢.٢ الامتناع عن ايثار شخص على آخر في الغنائم

روى أنّ عبدالله بن زمعة – فهو من شيعة الإمام – قدم على الإمام (ع) في خلافته وطلب منه مالا، فامتنع الإمام عنه وحذر واحترز من ايثاره على الآخرين وقال (ع): إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ وَإِلَّا فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ (الخطبة ٢٣٢) المقصود من هذا الكلام هو أن هذا المال من غنائم المسلمين الذين شاركوا في الحرب ولايحقّ لأحدٍ أن يأخذ منه حسب احتياجاته؛ فثمرة أيدي المناضلين والمجاهدين لايتعلق إلا بهم لا أقلّ ولا أكثر. إذاً امتنع الامام عليه السلام أن يبذل ما للمسلمين من الغنائم لأحدهم وأن يرجّح شخصاً على آخر دون أن يراعى جانب العدالة والمساواة؛ فالامتناع الموظّف خير دالّ على عدالة الإمام (ع) وخير دليل على أنه لايجامل أي أحد في غنائم المسلمين قريباً كان أو بعيداً.

والتوضيح أنّ لفظ الجناة استعير لما اكتسبوه بايديهم من ذلك المال ملاحظة لمشابهته باقتطاف الثمرة واجتنائها، وهو من أفصح الإستعارات ويجري مجرى المثل يضرب لمن يطلب مشاركة غيره في ثمرة فعل فعله ذلك الغير وتعب فيه. ولما كان قوله «والا» دالا على مقدم شرطية متصلة تقديره والا تكن قد شركتهم في حربهم. إذ كان مفهوم هذا القول دالا على عدم استحقاق غير الجاني نصيبا مما جنته يد الجاني فكأنه قال: وإلا شركتهم في حربهم فلا يكون لك نصيب فيما كسبته أيديهم والفاء لجواب الشرط المقدم (البحراني، د.ت: ١١٢/٤) ما قال الإمام لسياسته في المال: «لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ» (الخطبة ١٢٦) يعني إن كان المال لي فسويت بينهم فالآن كيف يفضل البعض على بعض والمال مال الله.

على أية حال استعمل «إن» في هذه الخطبة لمعنى «لو» ومفهوم كلام الإمام (ع) هذا: ليس لك نصيب من هذا المال لأنك لم تشرك في الحرب ولم تقاتل في سبيل الله يعنى منع الغائبين من فيء الحرب. يستعمل حرف شرط «إن» في عدم جزم وقطع المتكلم بوقوع الشرط في المستقبل. (هاشمي، ١٣٧٩: ١٣٨) لأنه يقع في الأحوال التي يندر وقوعها وما استفاده الامام في هذه الخطبة في الشرط المقطوع بثبوته؛ لأنه ينزل المخاطب العالم منزلة الجاهل لمخالفته مقتضى علمه.

### ٣.٢ امتناع الملائكة

انطلاقاً من نص *نهج البلاغة* يمكننا القول بأنّ الإمام علي (ع) أشار مرّة واحدة إلى امتناع الملائكة في كتابه القيم وذكر أسباب استنكافهم عن بعض الأعمال؛ لذلك نقوم في الخطوة التالية هذا النموذج من الامتناع البادر من الملائكة.

#### ١.٣.٢ الامتناع عن استعظام الأعمال

يصف الإمام الملائكة الذين شغلتهم العبادة عن الأمور الأخرى حيث يعرفون الله حق معرفته ولا يستكبرون أعمالهم قائلاً: «لَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَامَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَلَوِ اسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِه». (الخطبة ٩١) ما يراد من النص أن الملائكة لايستعظمون أعمالهم من العبادة وطول الاجتهاد ولو استعظموها لأزال رجاؤُهم الخوفَ والوجل من الله تعالى؛ الملائكة خائفون ابدا وأنهم لا يستعظمون سالف عبادتهم من خيفتهم. وقال باحثٌ في هذا المجال: يجب أن يكون الخوف مساوياً للرجاء والتفائل للتشاؤم كي يستمرّ المكلّف في العمل، فان تغلب أحدهما على الآخر كانت النتيجة الإهمال والكسل واستكثار الأعمال نتيجة طبيعية لتغلب الرجاء على الخوف ومن أجل هذا تجنبه الملائكة. (مغنيه، ١٩٧٢: ٢٩/٢) يعني إنهم لو استعظموا سالف أعمالهم لأوجب ذلك اغترارهم وزيادة رجائهم لثواب أعمالهم فيبطل ذلك ويزيل ما وجلهم وخوفهم (خويي، د.ت: ٩٣٤/٦) فالحصيلة النهائية هي أنّ الممتنِع هو الملائكة، والممتنع عنه هو استعظام الأعمال، وفلسفة الامتناع هي الرغبة في استمرار الخوف ودوام الوجل من الله العظيم؛ فحكمة الله تعالى أقتضت أن يدوم خوف الملائكة، لذلك استلزام الخوف انتهى إلى مواصلة العبادة والاجتهاد من جانب الملائكة.

## ٣. النتائج

يمكن الاستنتاج من دراسة الخطب من *نهج البلاغة* هو أن الإمام فيما يتحدثنا عن الامتناع، فإنه يخبرنا عن فلسفته وأسبابه؛ والامتناع الموظف والمشار إلى فلسفته في كتابه القيم يتأرجح بين امتناع الله والإمام والملائكة. فالدراسة هذه تدعونا إلى الاعتقاد بأنّ الله أراد أن يبتلي

الناس ببعض المجهولات، وصحيح أنه قادر على كل شيء، لكنه بحكم حكمته العظيمة امتنع عن بعض الأمور؛ على ضوء هذا التفسير امتناع الله منبعث من الحكمة ولا الضعف والعجز. وبما أنه عالم بأسرار الأمور وخبير بما جرى ويجري في العالم لايمتنع عجزاً بل يمتنع علماً وحكمة. ثم إنّ حكمته جرت أن يكون جميع الخلائق محتاجين إليه متواضعين أمامه؛ فجميع ما في الحياة من حسن وسيّيء وإعطاء وامتناع جاء لاختبار العباد وامتحانهم، إذاً الامتناع ليس دليلاً على غضب الله تعالى ولا الإعطاء دليلاً على رضائه، بل يأتي كل منهما على أساس درجة الفتنة والاختبار.

هذا وإنّ الإمام صرّح في كلامه عن بعض امتناع يختصّ به؛ فإنه امتنع عن الجزع الشديد على وفاة النبي (ص)، استنكف عن الأمر بقتل عثمان أو نهي عنه، أبى أن يخبر الناس بجميع الحقائق، كره أن يكون من أدهى الناس، لم يرض بالقبول الفوري والعاجل للخلافة ولم يقبل ايثار شخص على آخر في تقسيم الغنائم؛ فالقراءة الفاحصة لهذه الامتناعات ووقوف المتأني عندها تتيح لنا أن الإمام كان بمقدوره القيام بالأعمال السالفة الذكر، لكنه استنكف منها اعتقاداً بأن في هذا الرفض مرضاة لله تعالى، وتوصية ونصحاً من النبي (ص) وحكمة وخيراً للناس؛ على ضوء هذا التفسير فالإمام يتصرّف حسب علمه ولا القدرة المتاحة له.

ثم لايفوتنا أن نقول إنّ الاستفادة من الاسلوب الفني المبني على الامتناع جعلت النص المدروس اكثر استحكاماً وقوّة وساعدت على سرعة عملية نقل المعاني والمفاهيم المعنية للمتلقّي وانتهى إلى تمكين الكلام وتقريره في الذّهن. من ناحية أخرى تشهد النماذج المدروسة على أنّ الحجاج هو المكوّن الرئيس للامتناع حيث حاول صاحب النصّ أن يقنع المخاطب لتلقّي المفهوم المعنيّ؛ فالإمام بتوظيف البراهين والأدلة الفريدة فى إطار الامتناع يقوم باقناع المتلقّي بشكل فنى ويحاول عن طريق حجاجية النماذج الامتناعية أن يجعل النصّ ذا حيويّة وشحنة إقناعية وينشّط بهذه الآلية حضور المتلقّي ويقوّى العلاقة بين النص والمتلقيين.

## المصادر

القرآن الكريم.

ابن أبي الحديد (۱۳۸۵ش). شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم؛ ط۲، د.ب: دار إحياء التراث العربي.

ابن المعتز، عبدالله (۱۹۷۹م). البديع، تعليق: إغناطيوس راتشقوفسي؛ ط۲، د.ب، د.ن.

ابن منظور (۱٤۰۸ق). لسان العرب المحيط، د.ط، بيروت: دارالجيل، دار لسان العرب.

الإصفهاني، الراغب (۱۳٦۲ق). المفردات فی غريب القرآن، تحقيق: محمد سيدكيلاني؛ ط۲، د.ب: المكتبة المرتضوية.

أنيس، إبراهيم وآخرون (۱٤۰۸ق). المعجم الوسيط، ط۳، د.ب: دفتر نشر فرهنگ اسلامی.

البحراني، إبن ميثم (د.ت). شرح نهج البلاغة، د.ط، بيروت: دار الآثار للنشر، دار العالم الإسلامی.

البستاني، بطرس (۱۹۹۳م). محيط المحيط، د.ط، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

التفتازاني، سعدالدين (۱٤۱۱ق). مختصر المعاني، ط۱، قم: دار الفكر.

التفتازاني، سعدالدين (۱٤۱٦ق). المطوّل، حاشية: السيد مير شريف؛ ط٤، قم: مكتبة الداوري.

خليفة الشوشتري، محمد ابراهيم وقادر، ناهيده (۱٤۳۳). «(لولا) في القرآن المجيد واللغة، حقيقتها وأنواعها ودورها الوظيفي»، آفاق الحضارة الإسلامية، س۱۵، ش۱، صص ۸۵-٦۳.

دخيل، علي محمد علي(۲۰۰۳م). نهج البلاغة، ط۱، بيروت: دار المرتضى.

دراوشة، صلاح الدين أحمد (۲۰۱۰م). الرؤى والأدوات عند شعراء القرن الثاني الهجري، ط۱، الأردن: عالم الكتب الحديث.

الزركشي، محمدبن عبدالله (۱۹۵۷م). البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم؛ ط۱، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

الزمخشري، أبوالقاسم محمود بن عمر (۱۹۹۳م). المفصل في صنعة الإعراب، تقديم وتبويب: علي بو ملحم؛ ط۱، لبنان: مكتبة الهلال.

السكاكي (د.ت). مفتاح العلوم، ط۱، د.ب، د.ن.

السيوطي، أبوبكر (۱۹۹۸م). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين؛ ط۱، بيروت: دارالكتب العلمية.

طباطبايي، سيد محمد حسين (۱٤۱۷ق). الميزان في تفسير القرآن، ط۵، قم: دفتر انتشارات اسلامی جامعه مدرسين حوزه علميه قم.

طريحی، فخر الدين (۱۳۷۵ش). مجمع البحرين، تحقيق: سيد احمد حسينی؛ ط۳، تهران: كتابفروشی مرتضوی.

عباس، حسن (۱۹۹۸م). خصائص الحروف العربية ومعانيها، ط۱، سوريا: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

عتيق، عبدالعزيز (د.ت). علم البديع، د.ط، بيروت: دارالنهضة العربية.

عتيق، عبدالعزيز (د.ت). علم المعاني، د.ط، بيروت: دارالنهضة العربية.

العسكري، أبوهلال (١٤٢٧ق). كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: على محمّد البجاوى، محمّد أبوالفضل إبراهيم؛ ط١، بيروت: المكتبة العصرية.

العلوي، يحيى بن حمزة (١٩١٤م). الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم دقائق الإعجاز، تصحيح: سيدبن على المرصفى؛ د.ط، مصر: مطبعة المقتطف.

فارس بن زكريا، أحمد (١٤١١ق). معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون؛ ط١، د.ب:دارالجيل.

الفراهيدي، خليل بن أحمد (١٤١٤ق). كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومى، ابراهيم السامرائي؛ تصحيح: أسعد الطيّب؛ ط١، قم: المطبعة باقري.

قائمي، مرتضى وقتالي سيد محمود (١٣٩٢). «بررسى ساختارى نحوى- بلاغى حرف «لو» و كاربرد آن در قرآن كريم»، فصلنامه پژوهش‌هاى ادبى – قرآنى، س١، ش١، صص١٥٤-١٢٧.

القزويني، الخطيب (١٤١١ق). الإيضاح في علوم البلاغة، ط١، قم: دارالكتاب الإسلامي.

مرداني، مهدي (١٣٩٠). «بررسى سندى و دلالى امتناع امام على (ع) از خلافت با تأكيد بر كلام ٩٢ نهج البلاغه»، مجله پژوهشهاى قرآن و حديث، س٤٣، ش٢، صص١٦٧-١٥٣.

مسعود، جبران (١٩٨٦م). الرائد، ط٥، بيروت: دار العلم للملايين.

مغنيه، محمدجواد (١٩٧٣م). في ظلال نهج البلاغة، ط١، بيروت: دار العلم للملايين.

الميلاني، السيد هاشم (٢٠١٢م). نهج البلاغه، ط٩، تهران: موسسة أنوار الرسول الأعظم.

هاشمي، السيد أحمد (١٣٧٩ش). جواهر البلاغة، ط١، تهران: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر.

الهاشمي الخوئي، حبيب الله (د.ت). منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تصحيح: السيد ابراهيم الميانجي؛ د.ط، طهران: مكتبة الإسلامية.

يعقوب، إميل بديع (١٩٨٦م). موسوعة النحو والصرف والإعراب، ط١، بيروت: دارالعلم للملايين.